الخطبة السادسة والعشرون

اتقوا الله واستغفروه
ولا تعتدوا ولا تظلموا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله مداد كلماته، الحمد لله زِنَةَ عرشه، الحمد لله رضا نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وبعد:

عن عبد الله بن أُنَيْس عن النبي ﷺ: «يَحْشرُ الله الخلائق يوم القيامة، عراةً حفاةً غُرلاً بُهْمـًا، فيناديهم بصوت يَسْمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرُب: أنا الملك أنا الديان» رواه حم - أبو يعلى - الطبراني، (عراة): ليس عليهم كساء، (حفاة): غير منتعلين، ليس لهم أحذية، (غُرْلاً): غير مختونين خلقة، (بُهْمـًا): قيل: إنه يغلب عليهم السواد من شدة الحر، وقيل: معناه أنهم لا يتكلمون كالبهائم.

1- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: 8 / 29].

(يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا): يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، والضار والنافع، والخير والشر، وحسن العاقبة وسوء العاقبة، ينير لكم الطريق وتكونون على بيّنة، فالتقوى ترزق زيادة في الهدى، وزيادة في العلم، وزيادة في الحفظ والفهم وتزيدنا حكمة.

(وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ): يستر عليكم أخطاءكم فلا يفضحكم بها، يخفي عن الناس الشائن من أعمالكم، وكلنا له نواقص، وكلنا له أخطاء، وكلنا له ما يُشِينه، والله هو الساتر والله هو الحامي والله الذي يغطيها ويخفيها ويسترها ولا يهتكها، ثم قال بعضهم: إن التكفير للسيئات يكون بإلهامك فعل الخيرات ودفعك إلى عمل الصالحات، وذلك استناداً لقوله ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر» مسلم.

(وَيَغْفِرْ لَكُمْ): يمحو عنكم سيئاتكم، يمحو عنكم خطاياكم، يسامحكم على ذنوبكم، ويسامحكم على تقصيركم، يغفر لكم فلا يعاقبكم على ما ارتكبتموه من ذنوب وسيئات ونقائص، وقال بعضهم: ييسركم للاستغفار والتوبة أي: يسهل عليكم طريق الإنابة والرجوع إلى الله فتستغفرون وتتوبون، ولقوله ﷺ: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه من رواية أحمد والترمذي.

- الفرق بين تكفير السيئات ومغفرة الذنوب:

الكفارات هي الأعمال التي نقوم بها ويكون من نتائجها: العفو والصفح عن السيئات، لذلك قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تُغشَ الكبائر» ابن حبان - وكفارة اليمين، وكفارة الظهار، فعمل مقابل عفو وصفح، أما مغفرة الذنوب، فهي فضل من الله تعالى، ورحمة منه وثواب لك لإيمانك واستغفارك ومعرفتك بأن الله يعاقب على الذنب ويغفر الذنب فتخافه وتستغفره وتتوب إليه وتؤوب إليه متذللاً خاضعاً راجياً خائفاً متقرباً بالتقوى والعمل الصالح.

(وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ): الفضل هو الزيادة عمّا لك، الفضل زيادة عن حقك، فالله سبحانه ذو الفضل العظيم، أي: يعطيك ويزيدك ويتفضل عليك فوق أجرك وفوق عملك، فضلاً منه وزيادة منه وكرماً منه سبحانه وتعالى ما أكرمه وما أرحمه.

2- قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا

رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: 4 / 110 – 112]، ثلاث آيات تقرر المبادئ الكلية التي يعامل الله بها عباده.

1– الآية الأولى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾: تقرر أن الذي يعمل السوء لنفسه أو لغيره أو أنه يعمل السوء لنفسه فيظلمها، ثم أراد أن يستغفر ويتوب، فإنه يجد باب التوبة وباب المغفرة وباب الرحمة من الله مفتوحاً، لا يوجد ذنب إلا وله استغفار وتوبة ما لم يمت الإنسان، فالشرك بالله أعظم وأكبر الذنوب إطلاقاً، فإذا أسلم العبد وتبرأ من الشرك وأهله وأذعن إلى الله فقوله ﷺ: «إن الإسلام يهدم ما كان قبله، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله» مسلم (121)، أي أن الإسلام يمحو ظلم الشرك وعذاب الشرك الذي كان من الشخص قبل أن يسلم، فإذا كان الشرك وذنبه مغفوراً بالإسلام، فالذنوب الأخرى كلها مغفورة بالتوبة والإنابة والاستغفار لله، يبقى ظلم العبد للعبد وحقوق العباد، فالذي يظلم نفسه يتوب ويستغفر ويندم، ويبدل مكان السيئة التي كان يفعلها بحسنة، ويعاهد الله ألا يعود للذنب أو للمعصية التي ارتكبها.

أما الذي يظلم غيره ويعمل سوءاً لغيره، فهذا يجب عليه إرجاع الحقوق إلى أهلها وأن يطلب عفوهم وأن يستميحهم ثم يستغفر الله على ما فعل.

2– والآية الثانية: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾: الإنسان مسؤول عن أخطائه، والإنسان ليس مسؤولاً عن أخطاء غيره، والإثم والذنب لا يورثان فلا أحمل أخطاء أبي، ولا أولادي يحملون ذنبي، وهذا التصور والإقرار الإسلامي بأن الذنب لا يُورَّثْ، وأن الإنسان مسؤول عن ذنوبه فقط هو ضد التصور النصراني الكَنَسي والذي يؤمن بتوارث الذنوب، وأن الإنسان عندما يُخْلق فإنه يحمل أوزاره وأوزار آبائه وأجداده.

ومصيبة أكبر من هذه عندهم أيضاً، بأنه مهما فعلت فلن تستطيع أن تكفّر عن ذنوبك وذنوب آبائك وأجدادك التي هي على كاهلك، ولذلك يقررون بأن إيمانك بأن المسيح صُلِبَ ليُكَفِّر عن أخطائك وأخطاء آبائك وأجدادك، هو الوحيد الذي يمكن أن يكفّر عنك، لذلك لا بد للإنسان عندهم بأن يؤمن بأن المسيح صُلِب لتكفير ذنوب البشرية، وإيمانه بذلك يحصل به تكفير الذنوب التي عليه من قِبَلِهِ ومن قِبَلِ آبائه وأجداده، ونقول نحن: سبحانك هذا بهتان عظيم! فالله عادل ولا يحمل أحداً وزر أحد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: 35 / 18]، هذا قانون الله العادل، ثم قضية أخرى، أن الله سبحانه وتعالى عندنا وفي شريعتنا: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 4 / 110]، فالله يقبل التوبة والله يغفر والله يعفو، وهو الغفور الرحيم، وهو العفو الغفور، وهو الله كذلك في شريعتهم أيضاً، ولكنهم حرفوا شريعتهم فصار عندهم هذا الانحراف وهذا الكفر وهذا الشرك، والله سبحانه لا يحتاج لكي يغفر إلى صلب أو قتل أو أي شيء، وإنما يقبل الله تعالى الاستغفار والتوبة والإنابة والندم، ووصف نفسه سبحانه: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: 40 / 3]، سبحانه ما أرحمه، سبحانه ما أكرمه، سبحانه ما أحلمه. ونقطة أخرى بأنهم بهذا المفهوم الخاطئ أرادوا كفراً فوق كفرهم، وشركاً فوق كفرهم؛ لأنهم سلبوا الله سبحانه من أوصافه، فالله عندهم غير قابل للمغفرة إلا بدم، والله لا يغفر، لذلك حتى يغفر قُدِّمَ دم المسيح وصلب لكي يغفر، فسلبوا الله سبحانه من صفاته، الغفور الرحيم، الغافر للذنب والقابل للتوب، وهذا شرك وهذا كفر أعاذنا الله منه.

3- والآية الثالثة: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: من يفعل فاحشة أو معصية فقد ارتكب ذنباً أو إثماً، ولكن إذا نَسَبَ هذا الذنب إلى أحد غيره، أي رماه به كذباً وزوراً فهذه معصية أخرى، البهتان هو أن تكذب بحق غيرك، أو أن تتهمه بما ليس فيه، فإن كان ما اتهمته به حقيقياً فإنك تكون

قد استغبته، فالبهتان هو الكذب، وبذلك تكون قد ارتكبت إثماً فوق إثمك وذنباً فوق ذنبك، وهنا لفتة أود أن أراجعها معك: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ البريء هنا نكرة غير مُعَرَّف، ولم يشترط لهذا البريء أن يكون مسلماً أو صالحاً أو أو ... فانظر إلى عدل الله سبحانه وقد يكون من قومي أو أجنبي، فهذا كله لا يهم.

والقصة في سورة النساء هذه تحكي: أن بعضاً من بني أُبَيْرق سرقوا درعاً، ثم اتهموا به لبيد بن سهل وهو رجل صالح، أو زيد بن السمين وهو يهودي، فأنزل الله سبحانه وتعالى براءة المتهمين، فالنتيجة أن اتهام البريء بهتان وإثم مبين بغض النظر عمن هو، ولكن المهم أنه بريء.

ثم انظر إلى الآية في سورة الأحزاب رقم (58): ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 33 / 58] والجميل في المقارنة بين الاثنين أنه لا فرق بين اتهام الصالح أو غير الصالح أو المؤمن أو غير المؤمن، فالآيات وضحت قاعدة وهي أن الكذب والافتراء والبهتان حرام في حق الناس أجمعهم صالحهم وطالحهم، وهذا من عدل الإسلام وهذا من جمال الإسلام، فالحمد لله وله الشكر والنعمة والرضا.

1- قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: 5 / 2].

2- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 5 / 8].

3- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ

أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 4 / 135]، (لَا يَجْرِمَنَّكُم) أي: يحملنكم، (شَنَآنُ قَوْمٍ) بغضكم لهم، (تَلْوُوا) أي تحرفوا الشهادة، (الْقِسْطِ) العدل، الإعراض في قوله (تُعْرِضُوا) أي كتمان الشهادة وتركها.

فانظر إلى عظمة الإسلام وانظر إلى عدله، قل الحق ولو على نفسك أو والديك أو الأقربين، لا تحابي أحداً لقرابته أو لغناه أو لفقره، الحق أحق أن يتبع، (قَوَّامِين): القوّام هو المبالغ في القيام بالشيء على تمامه بدون نقص أو عِوَجْ. (قَوَّامِينَ لِلَّهِ) أن نكون من أهل الإتقان والإصلاح والإخلاص لله سبحانه في أي عمل أو أمر من أمور الدين أو الدنيا، والنية الخالصة لله للقيام بعمل الخير والالتزام بالحق في سبيل الله من غير أي دافع شيطاني أو نفسي أو هوائي مما يُحرِّض ويُغْري بالاعتداء على حق أحد أيـًا كان هذا الحق ماديـًا أو معنويـًا أو فيزيائيـًا أو عاطفيـًا أو ما شابه ذلك.

(شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ): شهادة عادلة بدون محاباة لقرابة أو لولاء معين أو لمال أو جاه أو منفعة آنية أو مستقبلية، وبدون تجني أو إنقاص حق نتيجة خصومة أو كراهة أو حسد، شهادة عادلة مبنية على ما يعرفه الإنسان حقيقة، يبتغي بها وجه الله سبحانه وتعالى، وإحقاق الحق بدون رأي أو تحليلات شخصية أو استنتاجات أو استنباطات، إدلاء الشهادة هي الإدلاء بالحق بوصف الحوادث كما جرت أو سرد الأقوال كما قيلت بدون زيادة أو نقصان، ومن يتهم ذاكرته فعليه أن لا يدلي بالشهادة وعليه السكوت لأن الشهادة أمانة، ويسأله الله عنها، والشهادة قد تُبطِلُ حقـًا وتتهم بريئـًا وتُنَجّي الظالم وتُوقِع المظلوم.

(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا) أي: لا يحملنكم بغض قوم لكم وعداوتهم لكم أو العكس بغضكم لهم أو عداوتكم لهم على عدم العدل في أمرهم، أيـًا كان هذا الأمر أو الشهادة عليهم أو لهم، الأصل في المؤمن إحقاق الحق، والنية الصادقة الصالحة ومخافة الله عز وجل ومخافة عقابه ورجاء ثوابه.

ولم يكتف بالتحذير عن عدم العدل مهما كان سببه، بل أكد الأمر تأكيداً بالغاً بقوله سبحانه: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ اعدلوا فرض من الله تعالى وأمر من الله، هو أقرب لاتقاء عقابه وسخطه باتقاء معصيته وهي الجَوْرُ وعدم العدل والظلم الذي هو من أكبر المفاسد ويتولد عنه مفاسد كثيرة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ خافوا الله واتقوه واحذروه فهو الخبير ببواطن الأمور وظواهرها، وهو عليم بذات الصدور، يعلم النيات ويعلم الدوافع ويعلم الأهداف قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ﴾ [غافر: 40 / 19 – 20].

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره الله: فالشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: 31 / 13]، وأما الظلم الذي يغفره الله تعالى: فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله: فظلم العباد بعضهم بعضاً، حتى يدين بعضهم من بعض» الطيالسي والبزار – صحيح.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قوله: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» حم – طب – هب.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ «من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أراضين» البخاري.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن إبليس يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب، لكنه سيرضى بدون ذلك منكم، بالمحقرات من أعمالكم، وهي الموبقات، فاتقوا المظالم ما استطعتم، فإن العبد يجيء يوم القيامة وله من

الحسنات ما يرى أن ينجيه، فلا يزال عبد يقول: يا رب إن فلانـًا ظلمني مظلمة، فيقال: امحوا حسناته حتى لا يبقى له حسنة» الحاكم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أسوأ الناس منزلة من أذهب آخرته بدنيا غيره» البيهقي، والطبراني عن أبي أمامة، والبخاري في التاريخ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اللهم تقبل منا واغفر لنا وارحمنا، اللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم. اللهم إني أعوذ بك من الرياء ومن الشرك الأكبر والشرك الأصغر وشرك السرائر وشرك أعلمه، وشرك لا أعلمه، وشرك أنت أعلم به مني، قال ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل»، فقال أبو بكر رضي الله عنه، فكيف الخلاص منه يا رسول الله؟ قال ﷺ: «أن تقول اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم» ابن حبان صحيح - صحيح الأدب المفرد.

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب، أو في الكرب؟ الله الله ربي لا أشرك به شيئـًا» حم - أبو داود - ابن ماجه. وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ... اللهم أمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم